استفسره عن بعض النقاد الذين حاولوا أن يعقدوا موازنة بين شخصيته وشخصية بطلي «عودة الروح» و«عصفور من الشرق»، فأجاب بقوله: «الصلة بيني وبين «عودة الروح» و «عصفور من الشرق» هي نفس الصلة الروائية المعتادة عند الروائيين جميعاً، عندما يكتبون على أساس التجربة الشخصية مع التصرف الذي تفرضه الحبكة الروائية[5]».

فالحكيم إذن لم يصدر في حل آثاره عن دوافع موضوعية، وإنما صدر عن دوافع ذاتية متصلة بحياته وتجاربه أشد الاتصال.

أما ما كتبه في معالجة بعض المشكلات الاجتماعية فإنه لم يكتبه عن رغبة نابعة من داخله وإنما كتبه تحت تأثير عدة دوافع معينة، كالرد على النقاد الذين اتهموه بالقصور عن الكتابة في القضايا الاجتماعية، والاعتزال في قصره العاجي، وظروف عمله لفترة طويلة بالصحافة[6] التي تتطلب نوعاً من الأدب الذي يتناول مشكلات المجتمع الراهنة.

وحتى في المؤلفات التي تبدو لنا ذات طابع اجتماعي، مثل «يوميات نائب في الأرياف» فإن الحكيم لم يخرج في الحقيقة عن إطار ذاتيته وتجاربه. فشخصية «نائب الأرياف» هي شخصية الحكيم نفسه الذي رمى به القدر في أرياف مصر ليعمل بها فترة من حياته نائباً عاماً، فراح يبكي حظه العاثر في مرارة وأسى: «إني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة، إنها رفيقي، أطالع وجهها في كل يوم، ولا أستطيع أن أحادثها على انفراد»[7].

وبعد، فإذا كان أهم ملهم أو منبع نهل منه الحكيم على سحيته هو تجاربه الذاتية مع المرأة؛ فمن هي هذه المرأة؟ وهل تعد امرأة عادية مثل سائر النساء، أم أنها تتميز بطابع خاص بها؟.. هذا ما سنحاول أن نجيب عنه في هذا المبحث:

طابع الملهمة عند الحكيم:

قبل أن نتعرض للملهمة وطابعها عند الحكيم لا بد أن نلقي ضوءاً كاشفاً على مفهومه للفن من جهة، وعلى مفهومه للفنان من جهة أخرى؛ وذلك